

إقليم تركستان .. عبر التاريخ

إعداد الأستاذ/ عبد الله كمال نصير(*)

الموقع الجغرافي لتركستان

تركستان: هو اسم فارسي يتكون من مقطعين هما (ترك، ستان) وتعني أرض الترك، وهي منطقة واسعة في آسيا الوسطى تجعل منها الجبال التي في وسطها تنقسم إلى قسمين تركستان الشرقية و تركستان الغربية، أما تركستان الشرقية فقد قامت الصين بضمها لأراضيها وتغيير اسمها لتصبح (شينجيانغ) وتعني بالعربية الحدود الجديدة، أما تركستان الغربية فتشمل خمس جمهوريات إسلامية هي: (كازاخستان، أوزبكستان، تركمانستان، طاجيكستان، قيرغيزستان) وكلها استقلت حديثاً عقب انهيار الاتحاد السوفيتي.

عدد السكان ونسبة المسلمين:

يبلغ عدد سكان إقليم تركستان الشرقية بحسب أرقام الحكومة الصينية حوالي ٢١ مليون نسمة، منهم ١١ مليوناً من المسلمين ينتمون أساساً إلى عرق الإيغور، وبعض الأقليات مثل الكازاخ والقيرغيز والتتر والأوزبك والطاجيك . وبحسب الإحصائيات الرسمية نفسها، يبلغ عدد السكان من أصل «الهان» -وهو العرق المسيطر في الصين- تسعة ملايين نسمة، أي حوالي ٤٠٪ من سكان الإقليم، مع أنهم كانوا يمثلون ١٠٪ فقط في منتصف القرن العشرين، ويبلغ عدد المسلمين من قومية القيرغيز أكثر من مليون ومئة ألف مسلم حسب إحصاء رسمي عام ٢٠٠٠.

أما عن (تركستان الشرقية) الخاضعة الآن للصين، فيحدها من الشمال الغربي ثلاث جمهوريات إسلامية هي: (كازاخستان) و(قيرغيزستان) و(طاجيكستان)، ومن الجنوب: (أفغانستان) و(باكستان) ومن الشرق أقاليم (التبت) الصينية.

ويتكون سكانها المسلمون من أجناس مختلفة: كالإيغور -وهم يشكلون غالبية الإقليم- والتركمان، والقازاق، والأوزبك، والتتار، والطاجيك.

أما الإيغور فهم: قومية من آسيا الوسطى ناطقة باللغة التركية (حيث إن اللغة الإيغورية تنحدر من اللغة التركية، ويستعملون الحروف العربية في كتابتها) وتعتنق الإسلام.

(*) باحث بمجلة الأزهر.



الإسلام

إقليم تركستان .. عبر التاريخ

والديانات الأخرى بشكل سلمي دون مشاكل دينية أو سياسية، كما كان يُحسِن المسلمون في إقليم تركستان الشرقية إلى الأعداد الكبيرة من الوثنيين الذين كانوا يعيشون معهم في نفس الإقليم من منطلق القواعد الإسلامية الأصيلة.

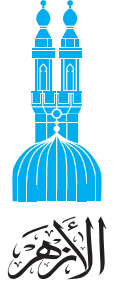
الاجتياح التتري؛

ظل الأمر كذلك حتى ابتلي العالم بمصيبة كبرى وهي الطاغية المغولي جنكيز خان سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م، وقد توسع بسرعة رهيبية في البلاد المحيطة، وذلك انطلاقاً من منغوليا، وقد تلقت تركستان الشرقية الصدمة التترية الأولى، وحدثت فيها عدة مذابح، ودخلت بسرعة في سلطان التتار، خاصة أن العالم الإسلامي بشكل عام كان يعاني من الضعف الشديد. وعندما مات جنكيز خان حدثت بعض الصراعات بين أتباعه، وانتهى الأمر إلى تقسيم مملكة التتار الواسعة إلى أجزاء عدة، وما يهمننا الآن من هذه الأجزاء جزآن؛ أما الجزء الأول فهو الذي يضم منغوليا وتركستان الشرقية، وكان على رأسه «أرتق بوقا»، وهو من أسرة أوكيتاي المغولي، وهذا الجزء يضم دولة تركستان الشرقية بكاملها، وقد تحسنت علاقة التتار بالمسلمين مع مرور الوقت، بل وصل الأمر إلى أن اعتنق أحد زعمائهم وهو «طرما تشيبرين» الإسلام، وبالتالي دخلت أعداد كبيرة من المغول في دين الإسلام، وهو من العجائب في التاريخ حيث يدخل المحتلون القاهرون في دين المهزومين، وهذه عظمة الإسلام وقوة حجته، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون! وكان هذا التحول إلى الإسلام في سنة ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م.

وبالمناسبة فهذه ليست المرة الأولى التي يدخل فيها المغول إلى الإسلام، فقد دخل قبل ذلك أحد زعمائهم الكبار وهو بركة خان إلى الإسلام، وأسلمت معه

بدايات الإسلام في الإقليم؛

وصل الإسلام قديماً جداً في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان -رضي الله عنهما- إلى تركستان الغربية، ودخلت هذه الشعوب في دين الله أفواجا، ومن تركستان الغربية انتقلت قوافل الدعاة والتجار إلى منطقة تركستان الشرقية، وكذلك إلى الصين، ودخل عدد من هؤلاء في الدين الإسلامي. وفي عهد الخلافة الأموية وصل عدد البعثات الإسلامية المرسلة إلى الصين إلى ١٦ بعثة تدعوهم إلى الله -عز وجل- ثم حدث التطور النوعي والنقلة الهائلة عندما وصلت جيوش المسلمين الفاتحين بقيادة القائد المسلم الفذ قتيبة بن مسلم الباهلي إلى تركستان الشرقية، لينشر بها الإسلام بإذن الله، ويدخل عاصمتها كاشغر، وليتعرف أهل البلاد -وهم من الإيجور الأتراك- على الإسلام من قرب، ثم يسارعوا في الدخول إلى دين الله؛ لتصبح منطقة تركستان الشرقية إقليماً إسلامياً خالصاً، وكان هذا الفتح العظيم في سنة ٩٦هـ / ٧١٤م في أواخر أيام الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك. ومن هذا الإقليم المسلم بدأت قوافل الدعاة تتحرك في المنطقة، فدخلت جنوباً إلى إقليم التبت، وبدأ أهل التبت يتعرفون على الإسلام ويعتبقونه، بل أرسلوا إلى والي خراسان الجراح بن عبد الله في زمن الخليفة الأموي العظيم عمر بن عبد العزيز يطلبون إرسال الفقهاء إلى التبت لتعليمهم الإسلام. ومن إقليم تركستان الشرقية كذلك انتقلت وفود الدعاة إلى الصين؛ مما زاد من عدد المسلمين في داخل الصين، إضافة إلى ١٢ بعثة إسلامية أرسلتهم الخلافة العباسية؛ مما أدى إلى تعريف الناس بالإسلام بشكل أكبر. والجدير بالذكر أنه في هذه المراحل الأولى كان يتعايش المسلمون في المجتمع الصيني أو في التبت مع البوذيين



السيرة والتاريخ

قبيلته المعروفة بالقبيلة الذهبية، وكانوا يعيشون في منطقة القوقاز في وسط آسيا.

مسلمو إقليم تركستان الآن

الحكم الجمهوري والاعتراف بالمسلمين..

قام الحكم الجمهوري في الصين، وقد اعترف منذ أيامه الأولى بأن المسلمين هم أحد العناصر الرئيسية في دولة الصين، وأن الصين مكوّنة من خمسة عناصر رئيسية هم الصينيون (وأصولهم قبيلة الهان)، والمانشوريون، والمغول، والمسلمون (ومعظمهم من قبيلة الهوي الصينية)، والتبت. وكان العَلَمُ الصيني مكوّنًا من خمسة ألوان؛ للدلالة على هذه الأعراق الخمسة، وهي الأحمر والأزرق والأصفر والأبيض والأسود، وكان المسلمون يمثّلون باللون الأبيض. وهدأت بذلك أوضاع المسلمين كثيرًا في الصين باستثناء تركستان الشرقية التي خشي الجمهوريون من إعطاء مساحة حرية له فينصلون عن الدولة الصينية، ومن ثمّ كانت الحرية الدينية للصينيين من قبائل «الهوي» أو المهاجرين، ولكنها ليست للإيجوريين الأتراك في تركستان الشرقية.

ثم دخلت الصين في حرب كبيرة جدًّا مع اليابان انتهت بدخول اليابان إلى بكين عاصمة الصين ١٣٢٥هـ / ١٩٣٣م، وقام اليابانيون بعدّة مذابح ضد الصينيين، لكنهم -في نفس الوقت- أعطوا مساحة حرية كبيرة للمسلمين؛ لإحداث شيء من التوازن في المنطقة. ولقد استغل الأتراك في تركستان الشرقية الفرصة وقاموا بحركة تحرُّر من الصينيين، ونجحوا في ذلك بالفعل، وأعلنوا دولة تركستان الشرقية المسلمة في سنة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م، ولكن بعد عام واحد اتحدت الحكومة الجمهورية في الصين مع روسيا ليدخلا معًا إلى تركستان الشرقية ليُعيدا احتلال تركستان الشرقية لصالح الصين، وذلك في سنة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م،

على الرغم من وجود الاحتلال الياباني في الصين.

الاحتلال الشيوعي لتركستان

قامت الحرب العالمية الثانية سنة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م، وانتهت سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م، وقد هُزمت فيها اليابان، وبالتالي خرجت من الصين، ولكن قامت في نفس الوقت الثورة الشيوعية في الصين بقيادة «ماو تسي تونج»، وحدثت بعض التداعيات المؤثّرة؛ فقد انسحب الجمهوريون الذين كانوا يحكمون الصين أمام الشيوعيين الجدد، وتوجّهوا إلى تايوان واستقلوا بها عن الصين، وتلقوا الدعم الكامل من العالم الغربي، وأيضًا حاول الروس التوسّع في إقليم تركستان الشرقية على حساب الصين، وتحالفوا مع بعض القوى الإسلامية هناك، وسيطروا بالفعل على شمال إقليم تركستان الشرقية، إلا أن ماو تسي تونج دخل بقواته تركستان الشرقية في سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م؛ لينهي بشكل قاطع كل المحاولات الإسلامية أو الروسية، وليضم إقليم تركستان الشرقية أو ما يسمونه بإقليم شينجيانج إلى الصين. وكان عدد المسلمين في (تركستان الشرقية) عندما سيطر الشيوعيون عليها حوالي ٣,٢ مليون مسلم، وعدد المساجد يزيد على الألفي مسجد، وبدأ الشيوعيون احتلالهم بارتكاب مذابح رهيبة، أعقبها عملية احتلال استيطاني واسعة؛ وألغى الصينيون الملكية الفردية، واسترقوا الشعب المسلم، وأعلنوا رسميًا أن الإسلام خروج على القانون، ومنعوا السفر خارج البلاد أو دخول أي أجنبي إليها، وألغوا المؤسسات الدينية وهدموا أبنيتها، واتخذوا المساجد أنديّة لجنودهم، وغيروا الأبجدية الوطنية بحروف أجنبية، وجعلوا اللغة الصينية هي اللغة الرسمية، واستبدلوا بالتاريخ الإسلامي تعاليم (ماوتسي تونج)، وأرغموا المسلمات على الزواج من الصينيين الشيوعيين





إقليم تركستان .. عبر التاريخ

الإقليم

الإسلامية إلى لغة الأويغور، ووضعت خطة لتخريج ١٠٠٠ إمام في خلال ٥ سنوات، وموقع تركستان الشرقية المحاط ببلدان إسلامية، وتاريخها الإسلامي، وتمتعها بأغلبية مسلمة يؤهلها لتكوين دولة إسلامية في المستقبل، ولهذا قامت السلطات الصينية بحركة قمع ضد المسلمين في تركستان الشرقية في عام ١٩٩٠ م.

ما نستطيع أن نقدمه لتركستان أما على مستوى الشعوب

فيجب علينا أن نقف قلبًا وقالبًا مع قضايا المسلمين في أنحاء العالم فنجد أن قضية تركستان لا تقل أهمية عن قضايا فلسطين والعراق يجب علينا ألا ينقطع دعاؤنا لهم بالنصر وفك الكرب كذلك وجب علينا نشر الوعي بقضاياهم وما يلاقوه من معاناة عن طريق الوسائل الإعلامية والفعاليات لدعم القضية والتعريف بها ومقاطعة المنتجات الصينية على قدر الممكن حيث إن الدول الإسلامية والعربية تشكل جانبًا كبيرًا جدًا من السوق الصينية، إنشاء صندوق تبرع لدعم قضيتهم أو إرسال التبرعات لهيئات الإغاثة، وحثهم على الجهاد والمقاومة.*

!، ولما قامت الثورة الثقافية في (الصين) زاد الأمر سوءًا، وزادت حدة اضطهاد المسلمين، وكان ضمن شعارات الثورة: «ألغوا تعاليم القرآن».

التعليم الإسلامي:

كان التعليم الإسلامي ناهضًا قبل أن تقع تركستان تحت الاحتلال الصيني، وكانت الأوقاف الخيرية قد رصدت ٢٠٪ من مساحة البلاد للتعليم، وانتشرت المدارس في مناطق عديدة من تركستان الشرقية. ومنذ أن حكمت الصين تركستان الشرقية أخذت تعمل على محاربة التعليم الإسلامي بطرق شتى، منها فرض كتب مدرسية تحارب الدين، وعمل مسرحيات تحارب العقيدة، وتربية الأطفال تربية إحادية، وحرقت الكتب الدينية، وسخرت الإذاعة لمحاربة الدين، ومنعت التعليم الديني قانونيًا، وعلقت الملصقات التي تحارب الأديان، وحرمت الصلاة والصوم، وحولت المساجد إلى متاحف. وفي الآونة الأخيرة بدأت الأوضاع العامة للمسلمين تتحسن وسمح للمسلمين باستخدام الحروف العربية في كتابتهم الإسلامية. كما بدأت حركة ترجمة لمعاني القرآن وأمّهات الكتب



(*) مراجع للاستزادة:

(١) تركستان الصينية الشرقية - لمحمود شاكر.

(٢) موقع الصين الحقائق والأرقام.